الرواية، وفي سياق علاقات المكان المتعددة، يمكننا، عبر ادماجها واعادة بنائها، الحصول على صورة المشهد الخارجي كما تقدمها الرواية، ففي إشارة أولى، سابقة، نعرف ان حامد قد ابتعد عن مدرسته وبيته في المخيم، إذن، ثمة بيت ومدرسة. وفي إشارة تالية، عبر تداعيات مريم، نعرف ان حامد قد بعث إليها مع صبيّ الخباز قائلاً «سأغادر مع غروب شمس اليوم وسأكتب لك من الاردن - إذا وصلت»[٣٦]، إذن ثمة مخبز. وتجيء الاشارة الثالثة، لتضيء شيئاً عن زكريا والمدرسة، في آن معاً، فعبر تداعياتها، ومخاطبتها لزكريا النائم الى جوارها تقول مريم، مؤكدة أن زكريا لم يعرف حامد جيداً وأن حامد لم يعرف زكريا، وأنها هي وحدها التي عرفتهما، وذلك على الرغم من أنهما عملا معاً في «الخيمة التي كنت (تقصد حامد) تسميها مدرسة المعسكر»[٣٧]. إذن: المدرسة محض خيمة. وفي إشارة رابعة تقول مريم عبر تداعياتها عن علاقتها بزكريا: «ولم أعرف قط لماذا مررت ذلك المساء من أمام المقهى الذي تجلس فيه، كأنما بالمصادفة...»[٣٨]. إذن: ثمة مقهى، وفي إشارة خامسة، عبر تداعيات حامد هذه المرة، نقرأ: «يا إلهي! كان الجدار عالياً وراء المعسكر، وقد اقتادونا جميعاً إلى هناك، وفيما كنا نتزاحم على الممر الضيّق المؤدي الى ذلك البناء المهدّم كانوا يزجروننا تارة بالعبرية وتارة بالعربية المكسّرة، ثم أوقفونا صفاً واحداً، وانصرفوا يدرسوننا بإمعان واضعين فوّهات رشاشاتهم تحت آباطهم، موسعين ما بين أقدامهم، وفجأة أخذت السماء تندف رذاذها ببطء وكآبة، فيما غاص المعسكر وراءنا بصمت أسود. وعند الظهيرة تقدم الضابط ونادى سالم... وغاب وراء الجدار هنيهة. ثم جاء صوت طلقة واحدة»[٣٩]. إذن: ثمة بناء مهدّم يقبع خلف جدار عالٍ، وثمة زمن محدد لهذا الوصف، إنه شتاء عام ١٩٥٦، حيث احتلت اسرائيل غزة في سياق العدوان الثلاثي على مصر، وثمة ارتباط لا ينفك بين المكان والاحداث والشخصيات، وثمة مأساوية للاحداث التي تقع خلف الجدار! وفي إشارة سادسة، نعود معها الى مريم، نتعرف على اللحظة التي جاء فيها زكريا الى البيت في غياب حامد، لتسلّم نفسها اليه، مدفوعة بعطشها، وتحمل منه سفاحاً، ونعرف من خلال الحوار الذي جرى على باب البيت أن زكريا قد استفسر عن وجود حامد فقالت مريم: «لقد ذهب ليأتي بالاعاشة، أنت تعرف، انه أول الشهر»[٤٠]. وأوضح زكريا: «كنت ماراً بالصدفة قرب المركز ورأيت ازدحاماً لا يصدق. صحيح، انه أول الشهر»[٤١]. ثمة إذن مركز للاعاشة التي يجرى توزيعها مع مطلع كل شهر على اللاجئين من سكان المخيم المنفيين عن الوطن. وفي إشارة سابعة نطل مع مريم، ودائماً، عبر تداعياتها، من خلف شباك المطبخ فيرتسم أمامها، وأمامنا المشهد التالي: «ووقفت أرشف الشاي الساخن أمام شباك المطبخ فيما مضت عربة خشبية محطمة يجرها حمار صغير تتدحرج متعبة في أول الطريق، ويهتز فوقها رجل نائم، وكان الحيوان المتعب يسير بطيئاً في خط متعرج، ويشمشم الطريق ملتقطاً شيئاً بين الفينة والاخرى، وبدا مسيرهما المستسلم طوافاً فوق تيار مخيف يسوقهما معاً، وكان قرع الحوافر البعيدة يختلط بصورة مشوشة مع خطوات الساعة تدق في الجدار البعيد، دائرة حول نفسها، هي الاخرى، محمولة فوق سطح تيار لا يكبح ولا يسبر غوره»[٤٢]. ثمة إذن: طريق غير معبد، أزقة ملأى بالنفايات، وعربة خشبية محطمة يجرها حمار متعب هي وسيلة نقل، وانتقال. وفي إشارة ثامنة، ينبثق مشهد بيوت المخيم، وذلك من خلال ما ترويه مريم عن زكريا بعد استيقاظه، وعبر تداعياتها: «واقترب بطيئاً كمن يستكشف المكان. ثم وقف وأخذ يحدق في النافذة الى الطريق، ثم الى السماء السوداء الجاثمة فوق سطوح البيوت الواطئة، وأكواخ التنك وغرف الطين في الجهة المقابلة»[٤٣]. تلك هي بيوت المخيم: بيوت واطئة، أكواخ تنك، وغرف طين. وفي إشارة تاسعة، وعاشرة، وعبر تداعيات مريم تتكرر الصورة السابقة لبيوت المخيم: «ووراءه، عبر النافذة، ارتفعت السماء فوق السطوح الواطئة لبيوت الطين والتنك تاركة خطّاً رمادياً كثيفاً»[٤٤]. وتبدو لحظة انبثاق واحد من «نهارات» المخيم: